الكتاب المدرسي دعامة أساس في العملية التعليمية-التعلمية

ذة. السعدية ابن محمود مفتشة التعليم الثانوي
باحثة في علوم التربية

يلعب الكتاب المدرسي دورا مهما في العملية التعليمية –التعلمية، وتفسير ذلك مجموعة من المعطيات منها ما يرتبط بخصوصيته، والتي تجعل منه أداة حاضنة لمجموعة من الأدوات والمعينات البيداغوجية التي تترجم التنوع في أساليب التعبير التي تختص بها كل مادة من المواد الدراسية كيفما كان نوعها، ومنها ما يرتبط بخصوصية النظام التعليمي الذي يتبناه، والذي يعول عليه في تعليم وتمرير مجموعة من القيم والمعارف لذى متعلم ومتعلمة بملامح تحددها غايات التربية المنشودة. وخير دليل على هذه الأهمية حضوره كمكون أساس في كل البرامج التي تروم إصلاح منظومة التربية والتكوين، وليس الإصلاح فحسب بل الإصلاح المفضي إلى الجودة. الشيء الذي أكد عليه الميثاق الوطني للتربية والتكوين في الدعامة السابعة في المادة 108 الخاصة بالكتب المدرسية والوسائط التعليمية، والتي حافظت الرؤية الاستراتيجية على مضمونها في خانة الوسائل والوسائط التعليمية والموارد. من هنا مشروعية التساؤل عن ماهية هذا الكتاب وقوته، أهم مواصفاته وشروط جودته، وأخيرا أبرز وظائفه.

تعريف الكتاب المدرسي وتفسير قوته

يلعب الكتاب المدرسي دورا مهما في العملية التعليمية-التعلمية كدعامة لم تستطع كل الدعامات والوسائط الأخرى، رغم جدتها وجاذبيتها، أن تحتل المكانة التي يتفرد بها، ومرجع ذلك عوامل كثيرة. وحري بنا قبل استعراضها تعريف هذه الأداة التي لا زالت تتربع على عرش الدعامات الديداكتيكية في مختلف المواد الدراسية ومن ضمنها مادة الاجتماعيات.»الكتاب المدرسي كما يدل على ذلك اشتقاقه اللغوي من اللاتينية manus ، أعد خصيصا ليكون في متناول مستعمله، وهو بذلك مؤلف مختصر يتضمن مجموعة من المعارف الأساسية ذات الصلة بمجال معين،

وأصبح المفهوم يستعمل منذ نهاية القرن الماضي للدلالة على كل المؤلفات التي تقدم المعارف التي تتطلبها المناهج الدراسية «1.

نفس المعنى يورده المعجم الموسوعي لعلوم التربية، مع إضافة « كونه أداة طيعة في يد المنظومة التربوية كيفما كان نوعها، فالمؤسسة المدرسية تقوم، عن طريق الكتاب المدرسي، بتشريب المضامين والمعارف، وتكوين الاتجاهات والقيم، وتلقين الخبرات والمهارات. الكتاب المدرسي يتضمن مجموعة من الرموز والسلوكات الاجتماعية هي بمثابة خطاب مدرسي... ينطلق من مجموعة من التصورات والتمثلات حول العناصر المشتركة في التربية المدرسية، سواء تعلق الأمر بالطفل، أو الأسرة، أو المجتمع، وتشمل هذه التصورات والتمثلات أيضا منظومة القيم والمفاهيم المرتبطة بحاجيات ومراكز اهتمام الطفل...»2

يبدو من خلال هذا التعريف تفسير الأهمية التي يحظى بها الكتاب المدرسي داخل كل منظومة تعليمية ولعل أهم عوامل قوته، قدرته أكثر من غيره على تمرير مجموع المعارف و المبادىء والقيم والسلوكات التي يريد كل نظام تعليمي ترسيخها لذى الناشئة، خاصة وأنه الكتاب الوحيد الذي يرافق المتعلم داخل الفصل وخارجه « فهو أداة يدوية قبل أن يكون أداة فكرية، لأنه موجه...للتشغيل. والكتاب المدرسي فوق ذلك أداة ديداكتيكية وسيطة، فهو لايتوجه من مؤلف إلى متلقي معين، بل هو أحد أدوات النقل الديداكتيكي للمعارف العالمة، هو تنظيم ديداكتيكي معين للمعرفة داخل وحدات مجزأة الهدف منها اكتساب المتعلم عمليات ومهارات، والتحكم فيها، وبما هو كذلك، فهو أحد أدوات المنهاج الدراسي...»3.

الكتاب المدرسي إذا هو القناة التي تنتقل بواسطتها المواد الدراسية من حقلها الأكاديمي إلى الحقل المدرسي، اعتمادا على عملية النقل الديداكتيكي، العملية التي تسهل على المتعلم مهمة فهم واستيعاب بل واكتساب المادة العالمة بطريقة سلسة تأخذ بعين الاعتبار العمر العقلي والزمني للمتعلمين الذين توجه إليهم. ولعل هذه العوامل وغيرها هي التي تجعله لا يكثرت للمنافسة التي قد تمارسها قنوات أخرى للمعرفة المدرسية، رغم جاذبيتها، كما هو الشأن بالنسبة للوسائط الرقمية. ومن بين ثوابت أفضليته على غيره معطيات عدة من ضمنها أنه:

- « وسيلة اقتصادية لأنه لا يحتاج إلى أجهزة أو معدات؛
- وسيلة ناجعة لعرض القيم والمفاهيم والحقائق والتعميمات في مجال أو موضوع من الموضوعات الدراسية؛

1- Dictionnaire encyclopédique de l'éducation et de la formation. Nathan. Paris 1994. P 642

2-أحمد أوزي : المعجم الموسوعي لعلوم التربية.مطبعة النجاح الجديدة. الدارالبيضاء..2006. ص 215

3-عبد الحق منصف: رهانات البيداغوجيا المعاصرة،دراسة في قضايا التعلم والثقافة المدرسية. إفريقيا الشرق.الدارالبيضاء.2007. ص 236

- أداة رمزية يمكن استخدامها داخل الصف الدراسي وخارجه، وكذلك في التعلم الفردي، والتعلم الجمعي، كما يمكن استخدامها في أي وقت دون قيود؛
- يمكن تعديل محتواه بسهولة ليتمكن من الاستجابة للتغيرات والتطورات السريعة التي تطرأ على المعرفة، والتي يسهل تعديلها في الكتاب بما يتماشى مع هذه التغيرات؛
- لا يتعارض مع الوسائل الأخرى، بل يتكامل مع وسائل التعليم والتعلم وأساليبها بسهولة، ويكون مكملا لها ومتكاملا معها؛

يقوم بدور هام في العملية التعليمية، فهو ليس مجرد مخزن أو مستودع للمعلومات والحقائق فقط، بل هو أداة تلقى قبولا عاما من جانب المعلم والمتعلم...فهو مصدر للمعلومات من السهل حمله، ونقله، والوصول إليه»4.

لكل هذه العوامل وغيرها يحظى الكتاب المدرسي بمكانة خاصة في منظومة التربية والتكوين كمكون متميز داخل العدة البيداغوجية، بالرغم مما يتعرض له من انتقادات يستتبعها تقويمه باستمرار. تقويم يكون الهدف منه في بعض الأحيان تصيد أخطاء وهفوات ونقائص هذا الأخير. وإذا أخذنا الكتب المدرسية الوطنية التي جاءت ثمرة توصيات الميثاق الوطني للتربية والتكوين، في إطار إصلاح منظومة البرامج والمناهج، فإن ما يؤخذ عليها هو عدم قطعها مع المقاربة التقليدية في التدريس، حيث يكون الهم الأساسي هو شحن الدروس بسيل عارم من المعلومات ،الشيء الذي يقلص المساحة المخصصة للمهارات والأنشطة المرتبطة بها. كتبنا إذا مايزال يحكمها « المنطق الكلاسيكي المتأسس على الأدراج والأنفاق، مع التغييب التام للروح البيداغوجية والديداكتيكية التي رسم معالمها الميثاق...»5.

ظهور الخلل في الكتب المدرسية يسائل مجموع المتدخلين فيها من البداية إلى النهاية، ونعني هنا الوزارة الوصية على القطاع، وصولا إلى الناشرين، مرورا بفرق التأليف، ولجان التقويم والمصادقة ويطرح سؤالا محوريا مفاده هل يستحضر كل هؤلاء المواصفات المفروض حضورها في هذا الكتاب ذي الأهمية الخاصة؟.

مواصفات الكتاب المدرسي وشروط الجودة

من المؤكد أن الكتاب المدرسي هو منتوج مجموعة من المؤلفين يشكلون فريقا يتكامل فيه الأكاديمي الممثل في الأساتذة الجامعيين، باعتبارهم حاملين للمادة العالمة، وهيئة التأطير

4- شكري سيد أحمد والحمادي عبد الله: تحليل مضمون أسئلة كتب العلوم المتكاملة في المرحلة الإعدادية بدولة قطر. مركز البحوث التربوية. جامعة قطر 1993. ص 57

-5عبد الكريم غريب: إصلاح الإصلاح في التربية والتكوين،الاختلالات وسبل علاجها. مجلة عالم التربية. ع 19. 2010. ص 129

والمراقبة التربوية باعتبارهم ناقلين لهذه الأخيرة، ومساهمين في عملية تحويلها إلى مادة دراسية، وهم أقرب إليها من هذا الجانب باعتبار مسؤوليتهم في تأطير ومراقبة وتكوين من يتحملون مسؤولية تدريسها، وأخيرا هيئة التدريس باعتبارها المسؤولة عن تنزيل المادة في مكونها الأكاديمي والمدرسي داخل الفصل، والمسؤولة عن تدبيرها على شكل أنشطة اعتمادا على الكتاب المدرسي وباقي الدعامات الأخرى التي تمثل أشكال التعبير في المواد الدراسية، كل واحدة حسب خصوصياتها، والكفايات النوعية المحددة لها. التأليف المدرسي لا ينطلق من فراغ، لا يعتمد الارتجالية أو الانطباعات الشخصية، أو الأهواء الذاتية، بل تحكمه غايات وأهداف النظام التربوي من جهة، ودفاتر تحملات من جهة ثانية، لذلك كان من الضروري أن تتوفر فيه مجموعة من المواصفات يمكن إجمالها في الآتي:

- « مسايرة محتوى الكتاب المدرسي لجديد البحث العلمي في المواضيع التي يقترحها البرنامج؛
- وجود انسجام كامل بين المضامين الواردة في الكتاب والأهداف المسطرة، سواء على شكل أهداف عامة أوقدرات نوعية؛
- مراعاة المادة المقدمة للتلاميذ، سواء المعرفية أو المهارية، مستوى التلاميذ وعمرهم العقلي والزمني، مع استحضار عنصري التنوع والوضوح في كل محتوياته خاصة بالنسبة للوثائق المتضمنة فيه، والتي تمارس جاذبية خاصة على المتعلمين؛
- وجود منطق داخلي يراعي خصوصيات المادة، ولايغفل عناصر مهمة مثل التسلسل، والتدرج، والانتقاء؛
- الاهتمام بالتقويم بمختلف أشكاله، واستعمال الأفعال التي تتوفر فيها شروط الأجرأة لكي يسهل على المتعلمين فهم الإنجازات المطلوبة منهم»6

يضاف إلى كل هذه المواصفات مجموعة من الشروط التقنية الأخرى على مستوى نوع الحروف المستعملة في الطبع، وتنظيم المادة، وقائمة المراجع المعتمدة في التأليف، وكشافات الأعلام ...المهم في هذه المواصفات والشروط، مسايرة الكتاب لمدرسي لكل جديد يلامس المواضيع المهيكلة للبرنامج من قريب أو من بعيد، الشيء الذي يفرض المراجعة، والتعديل، والتنقيح باستمرار. والمراجعة والتنقيح لا تعنيان التوجه إلى درس بعينه، بل إخضاع كل المكونات للتعديل بالزيادة أو النقصان، باستحضار مختلف أشكال التقويم التي تخضع لها الكتب المدرسية، والتي أصبحت، ومنذ سنوات تشكل مادة دسمة للبحث العلمي سواء داخل مؤسسات التكوين التربوي أومؤسسات التكوين الجامعي. وبذلك تكون عبارة نسخة معدلة، أو منقحة، أو محينة

6-عبير عليمات: تقويم وتطوير الكتب المدرسية للمرحلة الأساسية. دار الحامد للنشر والتوزيع. الأردن.2006 .ط1. ص ص 35/36 بتصرف

التي تظهر في بعض الكتب المدرسية مع إطلالة كل دخول مدرسي جديد لها مصداقيتها بدل أن تكون شارة أونوعا من أنواع الترويج التجاري لهذا الكتاب أو ذاك.

تضاف إلى المواصفات السابقة التي تهم بالدرجة الأولى مضمون وشكل الكتاب المدرسي، الذي يتوخى الجودة والتميز، شروط أساسية تعطيه قيمة مضافة، ويمكن اختزالها في المعطيات الآتية:

المصداقية: والتي يكتسبها من صحة المعلومات، والمعارف، والحقائق التي يتضمنها، ومن هذا المنطلق يصبح الخطأ غير مسموح به شكلا ومضمونا؛

سهولة تداوله من طرف المتعلم، السهولة التي يكتسبها من اللغة المستعملة في كتابته، أو في الوثائق المتضمنة فيه، ونوع الأحرف المستعملة في الطباعة؛

إخضاعه للتجريب قبل طرحه في السوق. والتجريب يجب أن يشمل عينة ممثلة للتلاميذ الذين سيوجه لهم الكتاب، وبشكل يستحضر الفروقات الشخصية على مستوى الذكاء...

ويبقى المكون الأخير ضروريا، لأن العملية تدخل في خانة التشخيص الذي يكشف عن التعثرات الممكنة في الكتاب، والتي يستحسن التدخل لمعالجتها وفق خطة معدة لهذا الغرض. لكن الإشكال الذي يطرح بهذا الخصوص، هل ستكون العينة المكونة من التلاميذ قادرة على القيام بهذه المهمة التي يفترض أن يتصدى لها ذوو الاختصاص في إطار لجنة توكل إليها قراءة مسودة الكتاب، وإبداء الرأي بخصوصه وفق شبكة تقويم متفق على بنودها مسبقا؟.

وعموما تبقى المضامين سواء قدمت على شكل ملخصات، أو وثائق عنصرا أساسيا في الكتاب المدرسي، لذلك تتطلب بدورها مجموعة من الخصائص توضحها الخطاطة الآتية

الخطاطة رقم1. خصائص المحتويات الدراسية7

7 تم إنجازها اعتمادا على:

Roger Seguin. L'élaboration des manuels scolaires. Guide méthodologique. Division des sciences de l'éducation. Contenus et méthodes. UNESCO. Décembre. 1989 بتصرف

نتساءل ونحن نستعرض بعض مواصفات الكتاب المدرسي، وشروط الجودة، لماذا تؤكد كل الأقلام التي تناولت موضوع هذا الكتاب من قريب أومن بعيد على ماهية حضور مواصفات يكاد الكل يجمع على ضرورتها؟

الجواب بالطبع يتمثل في كون المستفيد من خدماته هو المتعلم بالدرجة الأولى، لذلك من المفروض أن يتوفر الكتاب الموجه إليه بالخصوص على كل ما من شأنه تسهيل الاستفادة منه، سواء داخل الفصل الدراسي أو خارجه، لأنه يتوخى تيسير التعلم، والتعلم الذاتي، والتقويم، والتقويم الشخصي. لكن مهمته لا تقتصر على المتعلم فحسب، بل تتعداه إلى الطرف الآخر في العملية التعليمية-التعلمية وهو المدرس، الذي يجد نفسه، في أحايين كثيرة، يعيد إنتاج مضمون الكتاب المدرسي الخاص بالتلميذ على مستوى تخطيط الدرس وتدبير أنشطة التعليم-التعلم وتركيب التعلمات . بل الأدهى من ذلك هو الإلتزام بمضمون الوثائق الحاضرة فيه رغم تقادم المعلومات الواردة فيها، أو عدم صحة البعض منها، من هنا مشروعية التساؤل عن وظائف هذا الكتاب بالنسبة للمتعلم والمتعلمة والمعلم، هذا الأخير الذي يفترض أن يكون على علم بهذه الوظائف ليتسنى له حسن تدبير الدروس اعتمادا عليه، وعلى غيره من الدعامات الأخرى.

وظائف الكتاب المدرسي و وظيفيته

للكتاب المدرسي باعتباره أداة تعليمية مهمة مجموعة من الوظائف من بينها « وظيفة التربية الاجتماعية والثقافية...هذه الوظيفة التي ينظر إليها كوظيفة ثانوية...تهم كل المكتسبات المرتبطة بالسلوك، والعلاقات مع الآخر، والحياة داخل المجتمع بشكل عام، وبذلك تساهم هذه الوظائف في تنمية وتطوير القدرة على الفعل، ممكنة المتعلم من أن يجد تدريجيا مكانه داخل إطار عائلي، سوسيوثقافي، وطني ولم لا عالمي..»8

بالإضافة إلى هذه الوظيفة التي تبدو مهمة بشكل كبير، يستمد الكتاب المدرسي أهميته من الوظيفة الأساسية التي يستأثر بها بامتياز، والمتمثلة في « بناء المعارف والتمثلات لذى التلاميذ والمدرسين، مرجعيته الثقافة البيداغوجية الخاصة بكل بلد، وهذه الثقافة غير مستقلة عن باقي الميادين الثقافية الأخرى، وهو بذلك وسيلة الاندماج المدرسي والاجتماعي، لذلك فالكتاب المدرسي حامل لرهانات ثقيلة ومتنوعة...والأصعب من ذلك الرهانات الديداكتيكية على مستوى اختيار المعارف وتبليغها، والتي ليست مستقلة عن سابقاتها...الكتاب المدرسي إذا وسيلة ذات رهان تربوي جد مهم، فهو يمرر قيما وطنية، ويمكن أن يكون بذلك عاملا يسهل مواقف الحوار والتفاهم، أورفض شعوب وثقافات أخرى، وهو بذلك أداة أساسية لتكريس معرفة القيم العالمية، وحقوق الإنسان...»9.

8- Amandine Denimal et autres .Manuels et altérités dans l'espace méditerranéen .enjeux institutionnels et linguistiques. L'harmattan. Paris. 2011. p 11

9- Amandine Denimal.op cit. p11

يتبين بوضوح أن الكتاب المدرسي هو الأداة الطيعة التي من خلالها يتم تبليغ مجموعة حقائق من حقول معرفية متنوعة، من خلالها ترسخ في الأذهان معايير السلوك الاجتماعي المتعاقد بشأنه، والذي تتم بلورته في الأهداف والغايات والأغراض المسطرة للنظام التربوي برمته. باختصار يمكن تلخيص وظائف الكتاب المدرسي، كما تبين الخطاطة في الآتي:

الخطاطة رقم2. الوظائف الكبرى للكتاب المدرسي

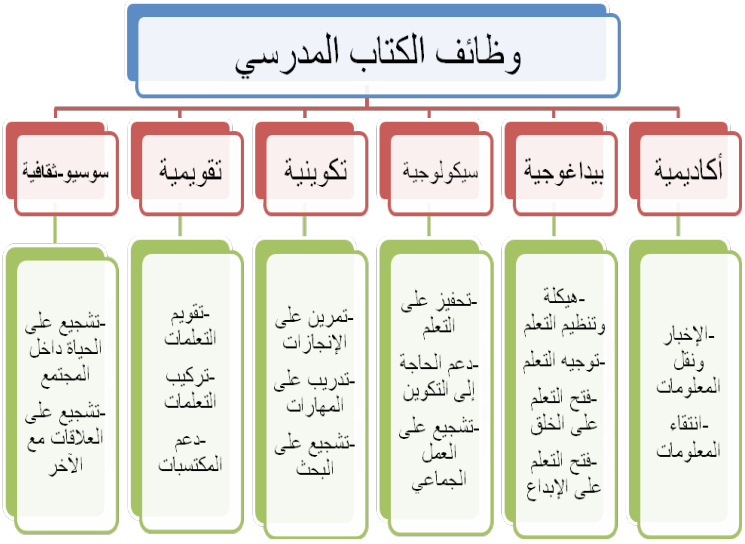

يتضح من خلال الوظائف الحاضرة في الخطاطة غياب وظيفة يعتبرها كل من نظر للمدرسة كمؤسسة رسمية للتنشئة الاجتماعية، وكوسائل وأدوات لتطويع الفرد وفق مجموعة من الغايات التي تحدد مواصفات مواطن المستقبل الذي ينشده كل نظام مجتمعي، جد أساسية وهي الوظيفة الإيديولوجية لأن" البرامج والتوجيهات التربوية تمثل... إجراءات قانونية تم وضعها وإذاعتها من طرف السلطة...وتناط بالكتب المدرسية والبرامج عامة مهمة وضع المقررات الدراسية بين أيدي مستهلكيها..."10

لكن الغياب لا يعني الإقصاء أو الاستهانة بالوظيفة الأخيرة، بل العكس هو الصحيح لأن الإيديولوجيا توجه كل الوظائف الأخرى، «ولايمكن قراءة الكتاب المدرسي كمضمون أو كأهداف أو كوسيلة... في غياب إيديولوجيا النظام الذي يقرره، والذي يعتمد عليه في تمرير مختلف المعارف والقيم والمبادىء التي تستهدف خلق مواقف واتجاهات بعينها، لذلك تكون السلطة الإدارية أول عامل يؤثر على الكتاب المدرسي... فهي التي تطلبه وتضعه بين أيدي نابغة الأمة

10- Louis Legrand. Les politiques de l'éducation. Que sais-je. PUF .1988. p 88

التي تمثلها، وتملك قبوله أورفضه أوتغييره، والسلطة الإدارية التي تقرر الكتاب المدرسي لها مصالحها الخاصة، واتجاهاتها، وأغراضها، ومؤلفو الكتاب المدرسي وناشروه لا يملكان إلا أن يؤلفا وينشرا من وجهة نظر هذه المصالح والاتجاهات والأغراض...»11

الوظيفة الإيديولوجية للكتاب المدرسي لا تمس بأي شكل من الأشكال بقيمته كمنتوج فكري لا يكاد يخلو منه أي نظام تعليمي كيفما كان نوعه أومستوى التطور الذي بلغه المجتمع الذي يتبناه، لأنه الوحيد القادر،أو الذي أعطيت له القدرة ، «في غالب الأحيان، على تحديد محتوى التعليم، وعلى الرغم من بعض التغييرات التي يبدو حصولها في هذا المضمار، فيمكن الاعتراف بأن الأوضاع لم تتغير في العديد من المدارس. صحيح أن المحتوى والشكل يعرفان بعض التعديلات، لكن الكتاب يبقى المصدر الأساسي للتعلم وذلك في مختلف أنواع التعليم...»12

عموما لا يمكن فهم هذه الوظائف دون استحضار من له القدرة على استثمار الكتاب المدرسي بالشكل الذي يخدم مجموع الأهداف المسطرة للدرس، ونقصد بذلك المدرس، والذي لا يمكنه الإستغناء عنه لمجموعة من الأسباب، منها ما هو تنظيمي مؤسساتي، ويتمثل بالخصوص في كون الكتاب عندما يقرر في مؤسسة معينة يصبح الأستاذ ملزما بالتوفر عليه من باب توحيد الخطاب بينه وبين المتعلمين، ومنها ماهو بيداغوجي وديداكتيكي.لأن هذا الأخير هو المعول عليه عندما ينضب معين المدرس أو يتعذر عليه تدبير المادة العلمية من مراجع أو مصادر لم تتوفر له . بالإضافة إلى توحيده للتصورات الكبرى للوحدات على الصعيد الوطني. وبخصوص التقويم يبقى الالتزام بطريقة تدبيره للعديد من المواضيع أساسيا، خاصة عندما يستحضر منطق الأطر المرجعية الخاصة بالامتحانات الإشهادية.

لكل هذه الأسباب يؤدي الكتاب المدرسي بالنسبة للمدرس والمدرسة مجموع وظائف نذكر منها:

« تقديمه معلومات علمية وعامة: بما أن المدرس لا يمكنه أن يكون موسوعيا، فالكتب المدرسية توفر له معلومات ضرورية لا يمكنه الحصول عليها في زخم ثورة المعلومات والمعلوميات؛

تكوين المدرس في ديداكتيك المادة: فالكتب المدرسية خاصة تلك الموجهة للأستاذ تؤمن له نوعا من التكوين المستمر، من خلال تزويده بمجموعة من التوجيهات والطرائق التي من شأنها مساعدته على تحسين جودة أدائه باعتبار التطور الدائم لديداكتيك المواد. كما يمكن لكتاب التلميذ القيام بنفس الدور من خلال الأنشطة التي يقترحها، أنواع الوثائق التي يتضمنها، أشكال التقويم والدعم التي يقترحها...والتي تسمح له بتقدير الإمكانيات المتوفرة للتلاميذ؛

11- أبو الفتوح رضوان وآخرون: الكتاب المدرسي: فلسفته، تاريخه، أسس تقويمه، استخدامه. مكتبة الأنجلو مصرية. 1962. ص 13

12- Decorte et autres. les fondements de l'action didactique.de la didactique à la didaxologie. A.Deboeck. Bruxelles. 1979.p 191

المساعدة على التعلمات وتدبير الدروس: من خلال تقديم مجموعة من الأدوات...التي تساعده على تحسين جودة التعلمات يوميا؛

المساعدة على تقويم المكتسبات: من خلال مجموعة من الأنشطة التي تستهدف تقويم ما راكمه المتعلم من مكتسبات خلال مرحلة تعلمية معينة»13.

وظائف الكتاب المدرسي متعددة، ومنافعه تشفع له، وتسهل غض الطرف عن بعض علاته. وجوده في منظومة التربية والتكوين محوريا، حضوره في الفصل أساسيا، استفادة طرفي العملية التعليمية-التعلمية منه غير مطروح للنقاش.

ضمن هذا التوجه نتساءل عن خصوصيات الكتاب المدرسي الخاص بمادة الاجتماعيات من خلال مساره الطويل.

الكتاب المدرسي وتدريس مادة الاجتماعيات

ظلت المدرسة المغربية من الاستقلال إلى بداية الألفية الثالثة تعمل بالكتاب المدرسي الواحد لكل مادة، وظلت المادة تحمل إسم مكونيها التاريخ والجغرافيا إلى حين انضافت إليهما مادة التربية الوطنية، حيث ستصبح مادة الاجتماعيات، وهو الإسم الذي ستحافظ عليه حتى بعد أن عوضت هذه الأخيرة بمادة التربية على المواطنة، المادة التي يقتصر تدريسها على المستويات الثلاث الأخيرة من التعليم الإبتدائي والسنوات الثلاث المكونة للتعليم الثانوي الإعدادي.

يندرج الكتاب المدرسي في منهاج مادة الاجتماعيات بالتعليم الثانوي ضمن الوسائل التعليمية الأكثر استعمالا. وتكمن قيمته التربوية و الديداكتيكية كما تراها التوجيهات التربوية لسنة 1994 في:

«يشكل بالنسبة للتلميذ أداة عمل متكاملة ومنظمة وحاضرة في البيت والمدرسة، تعوده على التثقيف الذاتي بواسطة القراءة، وتساعده على تهييء الدروس عن طريق إمداده بالوثائق المختلفة ليتعامل معها وفق حدود معينة وتبعا لمستواه الدراسي. كما يساعده على استكمال معلوماته حول الدرس.

يشكل بالنسبة للأستاذ الكتاب الجامع للبرنامج المقرر، والمرتب لأبوابه ترتيبا منطقيا يساعده على توزيع الدروس منذ بداية السنة، كما يمثل إطارا عاما لتحضير دروسه تحضيرا لائقا عن طريق استغلال ما يتوفر عليه من وسائل تعليمية معدة وفق الشروط البيداغوجية الضرورية ومن إمكانيات لتدريب المتعلمين على المهارات المناسبة.»14

13-Francois Marie Gérard et Xavier Rogiers. Des manuels pour apprendre. Concevoir, évaluer, utiliser. Deboeck. Bruxelles. 2003. pp102/103

14-وزارة التربية الوطنية.مديرية التعليم الثانوي. البرامج والتوجيهات التربوية الخاصة بتدريس الاجتماعيات بالتعليم الثانوي. مطبعة النجاح الجديدة. الرباط. 1994. ص41

الكتاب المدرسي، وكما تبين ذلك التوجيهات التربوية موجه بالأساس للتلميذ، لكنه أعد بشكل يجعل الاستفادة منه مكفولة لطرفي العملية التعلمية-التعلمية. علما بأن مسؤولية الانتفاع منه كمنتوج بيداغوجي وكمادة عالمة تقع بالدرجة الأولى على المدرس لأنه هو الذي يهندس الدرس والوسائل الموظفة فيه بالطريقة التي تتماشى والأهداف المحددة لهذا الأخير.

والمهام التي حددتها توجيهات 1994 للكتاب المدرسي ستكون هي نفسها المحددة له من طرف التوجيهات التربوية للمادة بكتب مدرسية جديدة كانت ثمرة المراجعة والتأليف وفق دفتر تحملات ملزم.

ولأن المقاربة التي حكمت الكتب المدرسية الأولى هي بيداغوجيا التدريس بالأهداف، ولأنها ركزت بالخصوص على الدرس الجاهز من المقدمة إلى الخاتمة فقد روعي فيها:

« صياغة الدروس بأسلوب يعتمد التحليل والتعليل والتركيب تبعا لما يتطلبه مستوى التلاميذ في المرحلة الثانوية، مع مراعاة أن تعكس هذه الدروس الأهداف التي يتوخاها روح البرنامج في كل مستوى دراسي.

تركيز المتن مع الإكثار من الوسائل والوثائق وتنويعها حتى تكون مكملة ومفصلة لهذا المتن.

تذييل بعض الوثائق بأسئلة لتوجيه المتعلم لما يراد استثماره منها.

تصدير كل محور من محاور المقرر بمقدمة توضح الخط الرابط بين الدروس المكونة له...»15

ولأن تأليف الكتب المدرسية الجديدة تم وفق مدخل الكفايات، فقد كان ضروريا إعادة النظر في طريقة إعداد الدروس، التي أصبحت موزعة على مجزوءات ووحدات، وأصبحت المقاطع والأنشطة التعلمية حاضرة بشكل ملزم في هندستها، الشيء الذي انعكس على خطاب التوجيهات التربوية الخاصة بتدريس المادة، وحيث أصبح الأسلوب المتبنى في التأليف هو أسلوب 'الوثيقة' لذلك تم التأكيد على:

« تفعيل الدور التكويني للكتاب المدرسي سواء داخل الفصل الدراسي أو خارجه من خلال توظيف الوثائق التي يتضمنها توظيفا مناسبا للكفايات والقدرات المستهدفة؛

إرشاد المتعلمين إلى أنسب الأساليب للاشتغال على وثائقه وتتبع إنجازاتهم انطلاقا من الأسئلة المذيلة لكل دعامة، وتكليفهم بمهام لسد الثغرات التي يكشف عنها التقويم المرحلي، ثم القيام بفروض في إطار القويم الإجمالي للدرس؛

15- ن م س. ص42

إثراء الرصيد المعرفي والمنهجي للمتعلمين بإحالتهم على أنشطة الاستثمار والدعم»16

الملاحظ من خلال توجيهات تسعينيات القرن الماضي و توجيهات بداية الألفية الثالثة، الدور الكبير المخول للكتاب المدرسي في تدريس المادة رغم كونه يرد ضمن لائحة طويلة من الدعامات التي يستند عليها هذا التدريس. مكانة تتم ترجمتها على مستوى الممارسة الفصلية في النقل الحرفي لمضامين الوثائق الواردة في الكتاب، والتي تتحول إلى متن أساسه الأسئلة المذيلة لها، وتغيب في ممارسة من هذا النوع أساسيات مقاربة الكفايات التي تروم تنمية مجموعة من القدرات لذى المتعلمين يتفاعل ضمنها المعرفي بالمنهجي بالمواقفي بالتواصلي، من هنا مشروعية طرح السؤال الآتي:

ألم يستطع الكتاب المدرسي الحالي إقصاء كل الوسائل المنافسة، بل وكل المراجع التي يمكن أن توجه إنجاز الأستاذ ليصبح الأداة والمرجع في نفس الوقت؟

المراجع

مراجع باللغة العربية

- أحمد أوزي .المعجم الموسوعي لعلوم التربية. مطبعة النجاح الجديدة. الدار البيضاء.2006
- عبد الحق منصف. رهانات البيداغوجيا المعاصرة، دراسة في قضايا التعلم والثقافة المدرسية.إفريقيا الشرق. الدارالبيضاء.2007.
- شكري سيد أحمد والحمادي عبد الله. تحليل مضمون أسئلة كتب العلوم المتكاملة في المرحلة الإعدادية بدولة قطر. مركز البحوث التربوية. جامعة قطر. 1993.
- عبد الكريم غريب. إصلاح الإصلاح في التربية والتكوين،الإختلالات وسبل علاجها. مجلة عالم التربية.ع 2010.19
- عبير عليمات. تقويم وتطوير الكتب المدرسية للمرحلة الأساسية. دار الحامد للنشر والتوزيع. الأردن.2006
- أبو الفتوح رضوان وآخرون. الكتاب المدرسي: فلسفته، تاريخه، أسس تقويمه، استخدامه. مكتبة الأنجلو مصرية. 1962.
- وزارة التربية الوطنية. مديرية التعليم الثانوي. البرامج والتوجيهات التربوية الخاصة بتدريس الاجتماعيات بالتعليم الثانوي. مطبعة النجاح الجديدة. الرباط. 1994.

16 - وزارة التربية الوطنية والتعليم العالي وتكوين الأطر والبحث العلمي. التوجيهات التربوية الخاصة بتدريس التاريخ والجغرافيا بسلك التعليم الثانوي التأهيلي. نونبر2007. ص31

- وزارة التربية الوطنية والتعليم العالي وتكوين الأطر والبحث العلمي. التوجيهات التربوية الخاصة بتدريس التاريخ والجغرافيا بسلك التعليم الثانوي التأهيلي . نونبر 2007.

مراجع باللغة الفرنسية

- Dictionnaire encyclopédique de l'éducation et de la formation. Nathan. Paris 1994.
- Roger Seguin. L'élaboration des manuels scolaires .Guide méthodologique. Division des sciences de l'éducation. Contenus et méthodes. UNESCO. Décembre. 1989
- Amandine Dénimal et autres .Manuels et altérités dans l'espace méditerranéen. enjeux institutionnels et linguistiques. L'harmattan. Paris.2011
- Louis Legrand. Les politiques de l'éducation. Que sais-je. PUF.1988.
- Decorte et autres.les fondements de l'action didactique.de la didactique àla didaxologie. A.Deboeck. Bruxelles. 1979.
- Francois Marie Gérard et Xavier Rogiers. Des manuels pour apprendre, concevoir évaluer, utiliser. Deboeck. Bruxelles. 2003.

قواعد النشر بالمجلة

تنشر مجلة علوم التربية المقالات والبحوث العلمية التي تلتزم بمنهجية البحث العلمي وطرائقه المتعارف عليها في مجال علوم التربية، وتكون المقالات مكتوبة باللغة العربية ولم يسبق نشرها. ويراعى ألا يزيد حجم المقال أو البحث على 15 صفحة بما في ذلك المراجع والحواشي والجداول والأشكال وبخط Arial 14 وبمسافة 1.15 ترسل إلى البريد الالكتروني للمجلة.

تقوم المجلة بنشر القراءات والترجمات ومراجعة الكتب والتقارير والمتابعات العلمية حول الندوات والمؤتمرات والأنشطة الأكاديمية ذات الارتباط بتخصصها.

ينبغي أن يتم توثيق المصادر والمراجع في متن المقال وفقا لنظام جمعية علم النفس الأمريكية (APA) كما يلي: أحمد أوزي (2015). التعليم والتعلم الفعال. الطبعة الأولى، منشورات مجلة علوم التربية، مطبعة النجاح الجديدة، الدار البيضاء، ص. 5.

نشر هذا العدد بدعم من
وزارة الثقـــافة